المحاضرة الثالثة: النقد الانطباعيي

لا شك أن النقد الانطباعي كان في المراحل الأولى المبكرة للنقد العربي،فقد عرف في العصر الجاهلي على شكل ملاحظات أولية تعتمد الذوق و الانفعال ،و تواصل إلى حد الآن.

مفهوم النقد الانطباعي:

هو نقد يصدر عن شخص تحت تأثير الانطباعات الأولية السريعة الذوقية أو المزاج الفردي الخاص . وسمي هذا المنهج منهجا تأثريا لان الناقد في تناوله و تقويمه للنص الأدبي يعتمد على ما يتركه هذا النص في نفسه من اثر معين، يدفعه إلى تدوين ردود فعله الذاتية.

والانطباعية مدرسة فنية شكلية ظهرت بين سنتي(1874-1886)، و هي تحصر وظيفة الفنان في اقتناص انطباعاته البصرية أو العقلية بخصوص موضوع ما ،وليس في تصوير ذلك الواقع الموضوعي.ومن زعماء النقد الانطباعي الغربي نذكر سانت بيف أندري جيد و غوستاف لانسون.

انتقلت هذه الانطباعية إلى النقد العربي الحديث بتسميات مختلفة(النقد التأثري النقد الذاتي الذوقي أو الانفعالي)، ومن زعمائه محمد مندور طه حسين العقاد.و يقوم هذا المنهج على معايير ذاتية و تأثرية من خلال وصف الانطباعات و الأحاسيس التي تتركها النصوص الإبداعية في النفس.

و المنهج التأثري كما يراه بعض التأثريين يعتمد على أمور ثلاثة:الصدق،والتعبير عن المشاعر،و النظرة الخاصة للحياة.

النقد الانطباعي في المغرب العربي:

لقد غلبت الانطباعية النقد المغاربي في بداياته الأولى،حيث تميز بالرؤية الذاتية و ما يتركه النص من أثر في النفس،و هذا شأن النقد العربي الحديث عموما،حيث تعد هذه المرحلة مرحلة طفولة النقد.

وقد انتشر هذا النقد بين أدباء المغرب العربي و مارسوه على النصوص التي كانوا يحللونها،أو من خلال مؤلفاتهم التي تغلب عليها النزعة التأثرية.حيث نجد من النقاد التأثريين في المغرب الأقصى أحمد زياد و عبد الكريم غلاب،و عبد الله كنون.هذا الأخير قدم قراءة لديوان الشاعر القروي(رشيد سليم الخوري)،أقل ما يقال عليها أنها انطباعات و انفعالات تعبر عن صدق الأحاسيس و الخلجات،وذلك نلمسه في تعليقه على الديوان بقوله:"مرآة صادقة تمثل نفسه و بيئته و قومه العرب في كل ماله أو لهم من آمال وآلام و ماض وحاضر".

ونجد الناقد الجزائري محمد مصايف في كتابه "النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي"يصف ما قدمه الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي في كتابه"الخيال الشعري عند العرب"أنه من صميم النقد الانطباعي خاصة في حديث الشاعر عن الخيال و علاقته بالأدب و الذات.

هذا و قد وقف عدد من النقاد التأثريين الجزائريين من فن الشعر الصادر عن إحساس صادق موقفا مشابها لموقف النقاد المشارقة ،فنجد العقاد قد عد هذا الشعر بمثابة وحي يوحى و تبعه مجموعة من النقاد الجزائريين كأحمد بن ذياب و ,رمضان حمود و أحمد رضا حوحو.

أحمد بن ذياب:

المتتبع للمقال الذي أصدره أحمد بن ذياب و الموسوم ب(من الأديب؟) يلاحظ نزعة تأثرية انطباعية ،يقول:"أن الأديب يعتز لدقائق الخلجات الوجدانية النبيلة،و خفايا اللذعات الباطنية الموجعة،و شعور خصب،يجد فيتأثر،ويتأثر فيتدفق،كأنما يوحى إليه بالأسرار،أو تلقى آياته من ملاك كريم...،يسندها ذهن يقظ يحرسها،و ذكاء وقاد يصرفها في مجاريها...،وفي الأدباء النبع الضحل،و السيل العباب،وما بين ذلك من جداول و أنهار".

لا شك أن هذه الخواطر تحمل النزعة الذوقية التأثرية،فهي انطباعات جارفة،و انفعالات تعبر عن أحاسيس صادقة و خلجات يحكمها الذوق.

رمضان حمود:

رمضان حمود من النقاد الجزائريين التأثريين الذين يعتبرون عنصر الصدق مبدأ من المبادئ التي يقوم عليها هذا النقد،فالأدب في نظر هؤلاء النقاد ليس خبرة يكتسبها الأديب بفضل الممارسة بقدر ما هو تعبير عن مشاعر إنسانية،و تصوير لوجهة نظر خاصة نحو الحياة و الوجود و الناس.

كما تميز هؤلاء النقاد بموقفهم من فن الشعر الصادر عن إحساس صادق ، و هذا ما نجده عند العقاد الذي عد الشعر وحي يوحى، وقد نحا رمضان حمود نحوه حين حذر الأدباء من التكلف و التصنع في قول الشعر،لأن الشعر لديه ليس بالصناعة أو البضاعة،و إنما هو إلهام وجداني ووحي ضمير،و الشعر لا يدرك كنهه إلا من له فكر ثاقب،وعقل صائب،و ذوق سليم.

فرمضان حمود لم يغب عن ذهنه و حسه الذوقي أن شخصية الناقد محل اعتبار كبير في الحكم على الشعر و نضارته،و لا يقوم بالنقد إلا من توفرت فيه الشروط الثلاثة السابقة.

لأن التجربة النقدية تقتضي حسا و ذوقا يماثل التجربة الفنية،وهذه المسألة أشار إليها النقاد القدامى مثل:ابن سلام،ابن طباطبا،و عبد القاهر الجرجاني.